

الأيرمودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي

د. / عفاف سيد صبره

حظيت حركة الجهاد الإسلامي ضد الغزاة الصليبيين، باهتمام المؤرخين المسلمين الذين سطوروا عنها صفحات مجيدة، وأرخوا لشخصيات هامة برزت وتألقت فيها، كان من أبرزهم أفراد البيتين الزنكي والأيوبي.



وكذلك أرخوا لسلطين الممالك الذين كان لهم شرف الإسهام في حركة الجهاد الإسلامي ضد هؤلاء الغزاة.

وقد أخذت على عاتقي أن أبرز للقارئ المسلم شخصيات كثيرة وفئات لعبت دوراً كبيراً في هذا المجال. لكنها لم تحظ بالاهتمام بل مر عليها المؤرخون مرور الكرام. وقد ألقت كتاباً يعرض لبعض هذه الفئات^(١).

واليوم أقدم للقارئ الكريم شخصية إسلامية لعبت دوراً قيادياً كبيراً في حركة الجهاد الإسلامي. والشخصية التي عكفت على دراستها وبيان دورها الذي لعبته وما سببته للصليبيين من عجز ووهن، والتي ظهرت على مسرح الأحداث في السنوات من ٥٠٠هـ/١١٠٦م إلى ٥٠٧هـ/١١١٣م هي شخصية مودود ابن التونتكين - أتابك الموصل

والذي كان لمقدمه إلى بلاد الشام أثر كبير. بل كان مقدمه نقطة تحول في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية لما ترتب عليه من تطلع مودود لمهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها، وإلى تفكيره في عزل الصليبيين بالشام عن الصليبيين الذين كانوا بإمارة الرها.

لقد كان وصول مودود إلى السلطة في الموصل في تلك الأونة بداية خير لتبلور حركة الجهاد الإسلامي التي وضع مودود لبناتها الأولى ثم أكملها بعده عماد الدين زنكي وإبنة نور الدين محمود، ووصلت إلى ذروتها على عهد صلاح الدين الأيوبي، أي أن مودوداً كان عمهداً لصلاح الدين^(٢).

ويحق لنا قبل أن ندخل في تفاصيل الدور الذي لعبه الأمير مودود أتابك الموصل أن نعرف به.

الحقيقة أن معظم كتب التراجم الإسلامية قد أغفلت تحقيق شخصية مودود، فأصله غير معروف، إلا أنه من الأتراك، حتى أن تاريخ مولده لم يحقق أيضاً، وهناك أقوال ذكرها بعض المؤرخين حول نسبه، فبعضهم يرجح أنه أحد أخوة السلطان محمد السلجوقي (٤٩٨هـ/٥١٢هـ - ١١٠٤م/١١١٨م)^(٣)، وبعضهم يرجح أنه ابن أخ قوام الدولة كربوقا حاكم الموصل (٤٩٠ - ٤٩٦هـ/ ١٠٩٦ - ١١٠٢م)^(٤)، ولكنها لم يقيا أدلة على أقوالهما، أما ابن الأثير وأبو الفدا فيشيران إليه تحت اسم مودود بن التونتكين أو التونتاش، وكلاهما غير معروف^(٥).

الموصل قبيل ظهور مودود :

ولعل الدور الذي لعبه موقع مدينة الموصل في هذه المرحلة، يعتبر ذا أهمية كبيرة أيضاً؛ لأنها تقع في شبال العراق فهي بذلك مفتاح إلى إمارة الرها، وكان على الشخصية التي تتقلد حكمها أن تتحمل تبعه الجهاد الإسلامي.

كانت أتابكية^(٦) الموصل في بداية الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي أتابكية مستقلة، يعين حاكمها من قبل السلطان السلجوقي، وكان عليه تبعه القيام بالحرب المقدسة

ضد الصليبيين إلى جانب اضطلعه بمهمة القضاء على حركات التمرد والعصيان، التي تقوم بها قبائل التركمان في أعالي دجلة وفي الولايات الشامية^(٧).

وقد كلف أتابك الموصل أيضاً بمهمة جمع أمراء العراق وغرب فارس تحت إمرته، وكان يحكم بصفته أسباسلارا للسلطان السلجوقي^(٨).

تتابع على أتابكية الموصل في ذلك العهد مجموعة كبيرة من الحكام كان من المفروض أن يبلغوا شأواً كبيراً في حركة الجهاد الإسلامي. لكن للأسف، فقد اتصف سلاجقة فارس وأتابكتهم في بداية الحروب الصليبية بالجمود، بحيث أنهم لم يتحركوا للحد من «توسع الفرنجة على الأقل في شمال العراق والشام وشرق آسيا الصغرى، ولم يحاولوا الاستفادة من الموقف السيء الذي بات فيه الصليبيون عقب أسر بوهمند أمير أنطاكية»^(٩).

بل إن النزاع احتدم بين الأخوين بركياروق وعمد ابني ملكشاه، واستمر النزاع من سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م إلى سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م.

وقد أدرك بركياروق النتيجة التي تؤدي إليها هذه المنازعات، فقرر تسوية المشاكل مع أخيه فانعقد الصلح بين الأخوين سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وبمقتضاه احتفظ بركياروق بالسيادة على ممتلكاته بفارس والعراق وتحل لأخيه عن الأطراف الغربية، وتشمل ديار بكر والجزيرة والموصل وسلطنة الشام^(١٠).

وقعت مهمة تعيين أتابك الموصل على عاتق السلطان محمد السلجوقي وكانت الموصل بعد وفاة أتابكها كربوقا سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م مصدر نزاع وصراع بين الأمراء الترك والتركمان^(١١).

كان كربوقا مسيطراً على الموصل وماحوها مثل نصيبين وماردين وآمد وقام بإيواء عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة أفسنفر وكان قسيم الدولة أقنفر قد «قتل تاركاً زنكي وهو لا يزال صبيّاً، له من العمر نحو عشر سنين»^(١٢).

ظل عماد الدين زنكي مع كربوقا حتى وفاته في سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، واستمر مقيماً

بالموصل مع الأتابكة اللاحقين.

تولى موسى التركماني الذي كان يحكم حصن كيفا نائباً عن كبروقا، فكانته أهل الموصل ونجح في دخول المدينة فتصدى له جكرمش حاكم جزيرة ابن عمر وتقاتلت قواتهما عند نصيبين، وهناك غدر جنود موسى التركماني به «وقام عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه حيث رماء أحدهم بنشابه فقتله»^(١٣). لذلك نجح جكرمش في الاستيلاء على الموصل بدلاً من موسى التركماني. لكنه لم ينعم بزعامته زمناً طويلاً، إذ كان لزاماً عليه أن ينجس فيها وقع في السلطنة السلجوقية بالشرق من منازعات.

حينما تحتم على بركياروق أن يقسم أملاك أخيه محمد كانت الموصل من نصيب محمد بن ملكشاه. فحاول جكرمش أن يستغل بالموصل فأعلن أنه لا يدين بالولاء إلا لبركياروق وحده وناوأ قوات محمد، غير أنه حدث في سنة ٤٩٩هـ/يناير ١١٠٥م أن توفي بركياروق، فانتقل ارثه كاملاً إلى أخيه محمد. ولما لم يعد لدى جكرمش عذر يتلذذ به بادر بالإذعان واعلان الخضوع لمحمد الذي اكتفى في ذلك الوقت بإعلان صداقته، وانسحب بجيوشه صوب الشرق دون أن يغامر بدخول الموصل في موكب النصر^(١٤).

تبدلت العلاقات بين السلطان محمد السلجوقي وجكرمش، مما دعا السلطان إلى انتزاع الموصل منه سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ومنحها مع امارتي الجزيرة وديار بكر إلى مغامر تركي يدعى جاولى سقاوة الذي كان يسيطر على البلاد التي بين خوزستان وفارس^(١٥). كما قام السلطان محمد السلجوقي بتولية جاولى سقاوة على كل بلد يفتحه، فاستولى على كثير من البلاد والأموال ولكنه لم يرسل شيئاً للسلطان محمد. كما امتنع عن الرد على رسله من أجل ارسال قواته لمساعدته في محاربة سيف الدولة صدقة بن مزيد^(١٦). وأصر جاولى على موقفه خوفاً من الالتقاء بالسلطان.

وتشير المراجع إلى إساءة جاولى سقاوة لأهل الموصل، «حيث قد أخرج أهلها منها وأساء أصحابه السيرة فيها وارتكبوا كل محرم»^(١٧). كما قام بالاتصال بالفرننج منتهزاً فرصة رغبة الأمراء الصليبيين في نداء بلدوين دي بورج الذي كان أسيراً في الموصل من أيام جكرمش وطلب من جوسلين – صاحب تل باشر – دفع مبلغ ستين ألف دينار والافراج عن الأسرى

المسلمين المعتقلين بالرهاء، لكن القدر لم يجهل جاولي ليحصل على هذه الغنيمة^(١٨).

بداية ظهور مودود في الموصل :

كان شرف الدين مودود يعمل تحت إمرة السلطان محمد السلجوقي وعندما سمع السلطان محمد بسوء سيرة جاولي سقاوة في الموصل، أرسل إليه مودود ابن التوتكين ليرى أمره «فخاف جاولي من وصول مودود الذي قام بحصار جاولي مدة ثمانية شهور فأرسل جاولي إلى السلطان يقول له: «إنني لا أنرا، إلى مودود فإن أرسلت غيره نزلت فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولي»^(١٩).

وقد كان هذا أول دور يظهر لمودود بن التوتكين، الذي بدأ نجمه يلمع بعد ذلك. وعندما تمادى جاولي سقاوة في إساءته لأهل الموصل، قرر السلطان محمد عقب الانتهاء من قتل صدقه بن مزيد ضرورة تجهيز قواته للقضاء على جاولي وأسند هذه المهمة إلى مودود بن التوتكين على أن يساعده بعض القواد، منهم سكان القطبي حاكم ميفارقين وأقسنقر البرسقى ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي، وأبو الهجاء صاحب إربل^(٢٠).

وصلت هذه القوة إلى الموصل، وعلى رأسها مودود في شهر رمضان سنة ٥٠١ هـ. حيث كان جاولي في حروب خارجية «تاركاً زوجته بالمدينة المحصنة المحاطة بسور كبير حيث أسكنها القلعة ومعها ألف وخمسة فارس من الأتراك سوى غيرهم وقد استعدوا بالميرة والأدوات والآلات»^(٢١).

والعجيب أن زوجة جاولي قد أساءت هي الأخرى معاملة من معها بما دعاهم جميعاً إلى الخروج عليها. ووصف ابن الأثير هذا الموقف بقوله «فتأدى الحصار بأهلها من خارج والظلم من داخل حتى آخر المحرم»^(٢٢).

وأخيراً اتفق الجميع على تسليم المدينة «فتعاون جماعة من الجصاصين على تسهيل المهمة لقوات مودود التي تحاصر المدينة حتى تم لهم دخولها، فتأدى الأمير مودود بالسكون والأمن وأن يعود الناس إلى دورهم وأماكنهم».

وقد أمّن مودود زوجة جاولي، ثم تولى حكم مدينة الموصل أتابكا من قبل السلطان محمد السلجوقي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م.

كان وصول مودود إلى السلطة في الموصل في تلك الأونة بداية خبر لتبلور حركة الجهاد الإسلامي التي وضع لبناتها الأولى ثم أكملها بعده عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، حتى وصلت غايتها على عهد صلاح الدين الأيوبي.

وقد أمضى مودود السنة الأولى من حكمه يعمل على تثبيت أقدامه في إمارة الموصل. والحقيقة أن المراجع العربية والأجنبية أغفلت ذكر أية أخبار عنه إلا عندما أمره السلطان محمد بالخروج لجهاد الصليبيين في جمادى الأولى سنة ٥٠٣هـ/٢٦ نوفمبر سنة ١١٠٩م^(٢٣).

مودود وإمارة الرها الصليبية :

بدأ دور مودود في حركة الجهاد الإسلامي بإمارة الرها الصليبية، ومن المفيد أن نعطي لمحة قصيرة عن نشأة هذه الإمارة وحكامها حتى تلك الفترة.

المعروف من دراستنا أن هذه الإمارة قد تأسست عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م على يد بلدوين البولوني الذي أسند إليه فيما بعد حكم مملكة بيت المقدس، لذلك قام بتولية صهره بلدوين دي بورج على الرها^(٢٤). وقد قام الأخير بإحكام قبضته على هذه الإمارة بطرق كثيرة، فقد تزوج أميرة أرمنية تدعى مورافيا، وهي ابنة جبريل المليتاني الحاكم الثري السابق، كما قام باستقبال باسيل بطريرك الكنيسة الأرمنية بحفاوة بالغة وتكريم شديد في عام ١١٠٣م وقام باختيار أحد أتباعه الكبار هو ابن خالته جوسلين كورتناي - الذي وصل في ذلك الحين من فرنسا - وسلمه إقطاعية تل باشر التي تقع بين الفرات وحدود انطاكية، وأخيراً وفي عام ٤٩٧هـ/١١٠٣م ساعد بلدوين دي بورج في تدبير القديلة اللازمة لعداء بوهمند حاكم انطاكية^(٢٥) الذي تصور أنه من الممكن أن يتعاون معه في عملياته الصليبية ضد المسلمين، بدلاً من تانكرد الذي استحال التعاون معه^(٢٦).

وكان من نتيجة هذا التحالف الهجوم الذي قاموا به على رضوان حاكم حلب سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م، وحملتهم على حران سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م والتي تقع على الطريق الموصل إلى بغداد قلب العالم الإسلامي، وكان معنى استيلاء الصليبيين على حران أنهم سيتمكنون من قطع الصلة بين المسلمين في الشرق وفارس وإخوانهم في الشام، فضلاً عن أن سقوط حران كان سيعطي للصليبيين فرصة لمهاجمة الموصل نفسها وتأمين طريق الرها، والسيطرة على إقليم الجزيرة^(٢٧).

هزم الصليبيون هزيمة نكراء في هذه المعركة ووقع أمير الرها ومعه جوسلين كورتناي حاكم تل باشر أسيرين في قبضة المسلمين^(٢٨).

توالى الأحداث بالنسبة للأمراء الصليبيين خلال عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م أولاً بتعيين تانكرد وصيا على إمارة الرها، وثانياً سفر بوهمند إلى أوروبا، ثم وصاية تانكرد الثانية على إمارة انطاكية وبعدها قام تانكرد بمنح إمارة الرها إلى ابن عمه ريتشارد سالرنو الذي كان أقل منه قدرة فلم يحسب حساباً لأطباع أتباعه من الفرنجة، كما أنه فقد ولاء الأرمن، حتى أن سلطة الفرنج أصبحت تعتمد على الحاميات الموجودة بالمدن. لذلك بدأ المسلمون خاصة أمراء الموصل يقومون بحملات متتالية على إمارة الرها^(٢٩).

ومن هنا يتضح لنا أن أولى الإمارات الإسلامية التي بدأت تنصدي للإمارات الصليبية، هي إمارة الموصل، فقد قام جكرمش حاكم الموصل بغزو حدود الرها سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م وحذا حذوه قلع أرسلان سلطان قونية، فقام بحملات مماثلة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، وسنة ٥٠١هـ/١١٠٧م^(٣٠).

لذلك يعتبر حكم ريتشارد سالرنو على إمارة الرها فترة ضعف الإمارات الشمال الصليبية.

وبينما كان ريتشارد سالرنو يحكم الرها كان بلدوين دي بورج يقيم أسيراً في الموصل في حين انتقل ابن خالته جوسلين كورتناي بعد وفاة سنغان إلى ايلغازي الدانشمندي الذي أطلق سراح جوسلين سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م مقابل الحصول على فدية تقدر بحوالي عشرين ألف دينار، ووعد ببذل المساعدة الحربية له^(٣١).

سعى جوسلين بعد ذلك إلى إطلاق سراح بلدوين دي بورج الذي حمله جكرمش حاكم الموصل ضمن متاعه وآل بعد ذلك إلى جاولى سقاوة بعد سيطرته على المدينة.

نجح بلدوين بعد جهد شاق في أن يعود إلى إمارة الرها، وقام تانكرد بسحب ابن خالته ريتشارد سالرنو منها^(٣٢)، ثم حدثت حرب داخلية بعد ذلك بين جبهتين إحداهما إسلامية تناصرها جبهة صليبية مع أخرى مثلها.

فقد تألف حلفان من جاولى حاكم الموصل مع بلدوين دي بورج حاكم الرها لذلك خاف رضوان أمير حلب هذا التحالف لأن جاولى يهدد ممتلكاته على نهر الفرات ورد رضوان على هذا التهديد والتحالف بمثل، فتحالف مع تانكرد حاكم أنطاكية وقامت الجبهتان بالاستعداد للمواجهة العسكرية^(٣٣).

قام رضوان بالاستيلاء على قافلة تجارية، كان من بين ما تحمله جزء من المال الذي افتدى به بلدوين نفسه، وكان مرسلاً من تل باشر إلى مقر جاولى بالموصل. لذلك قام جاولى سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م بشن هجوم على مدينة بالس الواقعة على نهر الفرات^(٣٤).

انتهت المعركة في البداية بتمكن قوات جاولى وبلدوين من رد فرنج أنطاكية، وتكبيدهم خسائر فادحة، لكن عندما خرج الجند الأتراك من جيش جاولى يبحثون عن الغنيمة، خلت ساحة المعركة إلا من القواد فقط؛ لذلك هرب بلدوين دي بورج، وجوسلين وخسرا المعركة، لكنها نجحا في العودة إلى الرها^(٣٥).

توجه تانكرد بعد ذلك إلى الثغور الشامية فملك طرسوس وأذنه، ونزل على حصن الأكراد، فسلمه أهله إليه، وتوجه إلى شيزر، فقرر عليها عشرة آلاف دينار، وملك الفرنج مدينة بيروت التي كانت ضمن ممتلكات الفاطميين^(٣٦)، وقد طلب الصليبيون من إخوانهم النازلين على ثغر بيروت النجدة من عسكر الأمير مودود التي بدأت تتجهز من الموصل للوقوف في وجه الصليبيين في الرها.

أمر السلطان محمد السلجوقي مودوداً أتاك الموصل بإعداد العدة لمواجهة إمارة الرها، وقد أبرز لنا المؤرخون المسلمون أن مودوداً كان أبرز من رفع راية الجهاد الديني ضد الصليبيين على أساس الوحدة الإسلامية في مواجهتهم، فقد جهز جيشاً ضخماً للتوجه إلى الرها شاركه فيه مسعود ابن السلطان محمد، كما شاركها الأمير أيلغازي بن أرتق حاكم ماردين والأمير سكان القطبي حاكم ميفارقين والمعروف بشاه أرمن^(٣٧). ويعلق ابن القلانسي على أعداد الذين شاركوا الأمير مودوداً في جهاد الصليبيين «بأنه قد وصل إليهم خلق كثير من المتطوعة»^(٣٨) وقد قرر المجتمعون في جزيرة بني غير الانحياز صوب الرها، وذلك لما ذكرناه عنها وعن حكامها وأهميتها، وموقعها بالنسبة للمسلمين وبالنسبة للموصل بوجه خاص.

والعجيب أن التناحر والتباغض الذي لمسناه بين القادة الصليبيين في تلك الفترة — وعرضنا له — مالم يأت أن تلاشي عندما شعروا بقوة المسلمين ووحدهم أمام الرها.

فقد أحكم بلدوين دي بروج أميرها سيطرته على المدينة «وشرع في تحصينها وخزن الميرة والطعام فيها»^(٣٩) في الوقت الذي قام مودود وإخوانه المسلمون بحصار المدينة من جميع جهاتها، ومنعوا الداخل والخارج من المسير إليها حتى غلت الأسعار بالمدينة وطالت مدة الحصار. ويعلق الأستاذ Fink على ذلك «بأن مودوداً قد قام بتدمير القرى وأتلف المزارع والحدائق والبساتين لذلك قام بلدوين دي بروج بطلب المساعدة من الصليبيين»^(٤٠) فاجتمع إليه تانكرد حاكم انطاكية وبرتtrand حاكم طرابلس والملك بلدوين حاكم بيت المقدس، وغيرهم^(٤١) «وتعاهدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب والمصاهرة واللباث»^(٤٢) لذلك توجهت قواتهم صوب الرها فلما وصلوا إلى الفرات بلغتهم كثرة المسلمين، فلم يقتربوا منهم وأقاموا على الفرات — رغم أن عدد جيشهم كان يزيد على خمسة عشر ألف رجل.

أراد المسلمون استخدام الحيلة وقرر مودود أن يرحل إلى حران — التي سبق أن استولى عليها — على أساس أن يسهل للفرنج عبور الفرات، ويتمكن من لقائهم في المنطقة الفضاء

شرقي الفرات لذلك توقفوا عن مقاتلة الصليبيين حتى يعبروا، لكن الصليبيين أدركوا هذه الخطة وشعروا بما يدبر لهم، وأن الهلاك والخذلان نصيبهم؛ فقد تلقى بلدوين التحذير في الوقت المناسب وعرف أن خطة مودود هي اجتذابهم إلى أرض معادية كيما يطوق جناحهم، لذلك توقف عن حصار قلعة شناو التي تقع شمال غرب حران^(٤٣).

لحق مودود بمجموعة من الصليبيين ومعهم جمع من الأرمن الذين بدأوا في مغادرة البلاد بناء على خطة بلدوين دي بورج - التي تقضي بالاتجاه إلى البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات، والتي تعتبر أكثر أمناً واستقراراً، وتتبعهم المسلمون فغنموا منهم «سوادهم وأثقالهم» وتتبعوا رجالهم قتلاً وأسرأ، وأغرقوهم في نهر الفرات وامتلأت أيدي المسلمين بالغنائم والأسلاب والسبي والدواب وترك المسلمون فلول الصليبيين ورفضوا اللحاق بهم وعبروا الفرات لرغبتهم في العودة إلى الرها مرة أخرى^(٤٤).

ظهرت نواة قوة إسلامية جديدة تمثلت في الأتابك طغتكين أتابك دمشق، الذي سمع بما حدث للقوات الإسلامية في الرها، لذلك تحرك طغتكين بقواته «إلى ناحية الرقة وقلعة جعبر وقطع الفرات»، وتلوم هناك إلى أن عرف خبر الإفرنج، وأنهم قد أحجموا عن العبور^(٤٥) وانضم إلى بقية جيش مودود. ولعل استياء طغتكين يرجع أولاً إلى استيلاء الصليبيين على ميناء بيروت في ١٣ مايو سنة ١١٠٩م، وميناء طرابلس قبل ذلك، وكان هذان الميناءان أهم مرفأين لدمشق على البحر المتوسط^(٤٦).

بلغ الحقد أشده ببلدوين دي بورج على مودود، لذلك قرر الانتقام، فقاد كتيبة من العسكر واجتاز بها النهر غير أن تفوق مودود في العدد والعدة، جعل اليأس يدب في نفوس الصليبيين، حتى أن بلدوين دي بورج كاد يتعرض للهلاك على يد مودود شخصياً لولا نجدة الملك بلدوين وتانكرد.

عاد بلدوين أولاً إلى سميساط، ومنها اتجه جنوباً، بينما اتجه تانكرد ناحية بلاد الشام لإنزال العقوبة برضوان حاكم حلب الذي هاجم بلاد تانكرد أثناء غيابه، وقد اعتقد تانكرد أن هذا

العمل خيانة وخروجاً على الاتفاق المعقود بينهما من قبل، فاستولى تانكرد عنوة على قلعة النقرة الواقعة على الحدود ثم زحف على حصن الأثارب وهو بالقرب من مدينة حلب وحاصره، «ومنع الميرة عنه فضايق الأمر على من به من المسلمين فتقربوا في القلعة نقباً، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه»^(٤٧)، لكنه نجح في التحايل على المسلمين حتى امتلك تانكرد الحصن عنوة، وقتل أهله، ثم توجه إلى زردنا فحصره، وفتحته وفعل به مثلما فعل في حصن الأثارب فلما سمع أهل منبج بذلك خافوا من الفرنج وشاركهم أهل بالس. لذلك توجه الفرنج نحو صيدا فطلب أهلها الأمان فأمنوهم واستولوا عليها، وطلب المسلمون الهدنة فرفض الصليبيون «إلا على قطعة يأخذونها إلى مدة يسيرة»^(٤٨)، لذلك صالحهم رضوان وصاحب صور وابن منقذ وغيرهم بعد أن تعهدوا بدفع أموال طائلة للصليبيين.

كان هذا الموقف الصليبي رد فعل عنيف في العالم الإسلامي، فقد أثار الاستياء العام لدى جميع المسلمين مما أدى إلى «تجمهر أعداد كبيرة منهم يرؤسهم رجل من الأشراف الهاشميين من أهل حلب، وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء توجهوا إلى جامع السلطان ببغداد فاسغاثوا، وأنزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا ويكوا لما لحق الإسلام من الفرنج وقتل الرجال وسبى النساء والأطفال»^(٤٩) وقد عاود المسلمون فعل ذلك في الجمعة التالية لذلك أوعز السلطان محمد السلجوقي إلى الأمراء والمقدمين بالعودة إلى أعمالهم والتأهب للمسير إلى جهاد أعداء الله الكفار»^(٥٠).

وصل في نفس الفترة رسول من قبل الامبراطور البيزنطي لاستشارة الخليفة والسلطان ضد الصليبيين «مضمونها البعث على جهاد الافرنج والإيقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الأعمال وترك التراخي في أمرهم واستعمال الجدد والاجتهاد في الفتك بهم قبل اغتيال خطبهم واستفحال شرهم»^(٥١).

وبين لهم كذلك بأنه منع الصليبيين من العبور إلى البلاد الإسلامية؛ لذلك أمر السلطان السلجوقي قواته بالتحرك صوب الصليبيين.

كان مودود أول من استجاب لنداء سيده واستعد وجهاز قواته لتحقيق هدفين: أولاً ليستكمل الدور الذي بدأه ناحية الرها، وثانياً الانتقام من الصليبيين الذين أساءوا لأهل الشام.

كانت هذه الحملة تحت قيادته وساعده مسعود ابن السلطان محمد السلجوقي والأمير سكيان القطبي والأميران الكرديان أحمد يل صاحب مراغه وأبو الهيجاء صاحب إربل، فضلاً عن بعض أمراء فارس بزعامة برسق بن برسق أمير همدان^(٥٣). والأمير أيلغازي صاحب مardin والأمراء البيكجية - وقد تخلف بعد ذلك أيلغازي وبعث بابنه إيازه^(٥٤).

توجه مودود بعسكره أولاً إلى سنجتان، فافتتح تل مراد وعدة حصون، وهناك وصل إليه أحمد يل وعساكره، ثم قطب الدين سكيان القطبي، وكان تجمعهم في حران، وكتب إليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يخبرهم بنزول تانكرد صاحب انطاكية أرض شيزر وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل الغلال إليه وطلب منهم مساعدته^(٥٥).

وعندما أحس بلدوين دي بروج أمير الرها بتلك التجمعات الإسلامية على حدود إمارته، خاف أن يتعرض مرة أخرى لهجوم مودود، فشرع في تحصين إمارته وخزن الميرة والطعام فيها مما جعل مودوداً ينصرف عن حصارها ويتجه إلى ثاني مدن تلك الإمارة الصليبية وهي مدينة تل باشر غربي الفرات ومفتاح مدينة الرها. انتظر مودود وهو محاصر لتل باشر وصول الأمير برسق ابن برسق، فوصل في عسكره وهو مريض بالقرص، وكان سكيان القطبي مريضاً أيضاً وقد ظل مودود والقوات الإسلامية محاصرين لتل باشر مدة خمسة وأربعين يوماً، وهناك وصلتهم رسالة من رضوان بأنه يستعد لمساعدتهم؛ لأنه لم يعد بوسعه أن يصمد طويلاً أمام تانكرد، وقد تأثر مودود لتغير سلوك رضوان وأنه سيشارك الجميع الإسلامي، وبناء على اقتراح أحمد يل الذي كان بينه وبين جوسلين حاكم تل باشر مودة وملاطفة حيث «قدم له جوسلين مالاً وهدية، وبذل الكون معه والميل إليه، وكان أكثر العساكر مع أحمد يل وسأله الرحيل عن الحصن»^(٥٥).

طلب أحمد يل من مودود الرحيل ، فوثق به مودود وظنه صادقاً في غرضه ورفع الحصار عن تل باشر وتوجه صوب حلب ، وخاب أمل مودود في رضوان أمير حلب . فما إن وصلت القوات الإسلامية إلى حدود حلب حتى أغلق رضوان في وجهها أبواب المدينة «وأخذ أهله رهائن إلى القلعة ، ورتب الجنود وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الأسوار ومنع الحلبيين من الصعود إلى السور ، فأطلق الحرامية في أخذ من يظفرون به من أطراف العسكر»^(٥٦) معنى ذلك أن عساكر رضوان كانوا أخطر على مودود من الصليبيين .

أما عن موقف القواد المسلمين الملازمين لمودود فقد مرض سكان القطبي ، وعاد مريضاً وتوفي في بالس ، أما برسق بن برسق فكان يُحمل في عفة ، ولا يتمكن من فعل أو قول ، وأما أحمد يل فكان يرغب في العودة لطمعه في الاستيلاء على بلاد سكان القطبي^(٥٧) .

مودود وطغتكين :

لعل إفرازنا عنواناً لطبيعة العلاقة بين مودود وطغتكين لدليل على أهميتها عن غيرها . فالمعروف تاريخياً أن طغتكين كان أتاكبا على دمشق لأولاد دقاق ، وقد ظل بيته يتوارث هذه الأتابكية طوال فترة الحروب الصليبية إلى أن نجح نور الدين محمود في الاستيلاء على دمشق .

وقد بدأ اتصال طغتكين بمودود عندما كان الأخير محاصراً للرها سنة ٥٠٣ هـ . وأكد ابن القلانسي على أنه قد وصل الرقة وقلعة جعبر وعبر الفرات ، وبعدها بدأت الصلات تتوثق بين الإثنين ، وكثرت المراسلات إلى أن أفضت إلى استحكام المودة بينهما ، واتفق الكلمة وتأكيد أسباب الألفة^(٥٨) .

ويؤكد المؤرخون الغربيون على أهمية اتصال طغتكين بمودود واتحادهما معاً ، فقد كان نجاح الحملة الصليبية الأولى يرجع إلى الفرقة بين الأمراء الترك حكام الأقاليم أما الاتحاد بين دمشق والموصل فسيؤدي إلى ضعف جبهة الصليبيين^(٥٩) . وعندما خرج مودود بحملته على تل باشر

ومنها إلى حلب حضر طغتكين على رأس قوة عسكرية من بلاد الشام «للاعتصام على الجهاد وتقوية النفوس»^(٦٦) فوصل إلى حلب، وهناك استقبله المسلمون خاصة مودود بالمود والترحاب «وقويت بوصوله النفوس، واشتدت الظهور» وفي هذه الفترة علم طغتكين أن رضوان صاحب حلب بدأ يدس الدسائس، ويوغر الصدور ليقع بين طغتكين ومودود والقوات الإسلامية، حتى أنه راسل بعض الأمراء في هذا الشأن، لذلك قرر طغتكين الاتفاق مع مودود «على التعاهد والتصديق فيما بينهما، وتقوية النفوس من أجل مجاهدة الصليبيين، حتى أنه بدأ يوزع كل ما يملكه من هدايا على الجنود المسلمين منها التُحف والحُصن العربية والسُّبق والأعلاق المصرية»^(٦٧) «ولم ينكر مودود عليه أعماله هذه، بل قابلها بالمثل وتجددت العهد بينهما»^(٦٨).

وقد طلب منهم طغتكين أن يتوجهوا معه صوب طرابلس، لأنه يمر في دمشق بظروف سيئة بعد استيلاء الصليبيين على ميناء طرابلس سنة ١١٠٩م، لذلك اقترح أن تبدأ الحرب المقدسة بطرابلس. لكن للأسف فإن القادة الذين كانوا يرافقون مودوداً لم يرغبوا في القتال من أجل مصلحة طغتكين ولا أن يمشوا بعيداً عن أوطانهم أكثر من ذلك، لذلك تركوهم جميعاً كما ذكرنا^(٦٩).

قرر طغتكين لمودود في حالة مساعدته منحهم كل ما يحتاجونه من مؤن من دمشق وفي حالة حلول فصل الشتاء سيرحل بهم إلى دمشق، وللأسف الشديد فإننا قد رأينا اختلاف الرأي بين القواد المسلمين الذين كانوا في جيش مودود وكيف أنه فوجيء بأن كل واحد من هؤلاء القواد قد اتخذ موقفاً معيناً، كما سبق أن ذكرنا، فلم يكن أمام مودود إلا أن ينفذ رغبة طغتكين بنفسه دون الاعتناء على غيره، وأن يرحل معه هو وجنوده متجهين إلى نهر العاصي^(٧٠).

وصل إلى هذه الجموع سلطان بن منقذ أمير شيرز ومعه جنوده، وأوضح لهم موقف الصليبيين، لكنه هون عليهم أمرهم وشجعهم على مواصلة الجهاد على أن تنضم إليهم جنود شيرز. لذلك بدأ يظهر الدور الإيجابي لطغتكين مع مودود، وتوطدت صلاتهما، مما جعل

المؤرخين يخللون هذا الموقف، وهل كانت هذه العلاقات من قبل طغتكين أم أنه شعر بقوة مودود، فخاف نفوذه، وأراد أن يستقطبه إلى جانبه، لكن العبرة ستوضح في النهاية، والحقيقة الكامنة في نفس طغتكين يعلمها الله وحده، رغم دفاع بعض المؤرخين عنه.

مودود وقوى الصليبيين ببلاد الشام :

رأينا خيبة أمل مودود في رضوان أمير حلب، وتحالف طغتكين وسليمان شيزر معه، لذلك نفذ خططهم في الاتجاه صوب شيزر جنوباً فدخل عسكر مودود حول شيزر وأكرمها سليمان بني منقذ واحتفى بقيادة الحملة وهما مودود وطغتكين «بأن أصدعهما إلى حصن المدينة وياشر خدمتهما بنفسه»^(٦٥).

وفي هذه الأونة كان الصليبيون بزعامة تانكرد يعسكرون أمام شيزر وعندما علموا بوصول قوات مودود انسحبوا إلى أقاميه واستنجدوا بالملك بلدوين ملك بيت المقدس، فاستجاب لهم، وأرسل إلى سائر الفرسان بالشرق ليلحقوا به، فقدم معه البطريرك جبيلين وكبار الأتباع بالملكة أمثال جازنيه سيد صيدا والتر صاحب حبرون، وبرتراند كونت طرابلس، ومن الشمال جاء بلدوين كونت الرها يصحبه تابعاه الكبيران جوسلين سيد تل باشر، وباجان صاحب سروج، واستدعى تانكرد أتباعه من سائر جهات أنطاكية فقدم إليه جاي الملقب بالمعزة من طرسوس والمصيصة، وريتشارد صاحب مرعش وجاوي المعروف بالزانة سيد حارم، وروبرت صاحب السويدية وروجر صاحب هب ومارتن صاحب اللاذقية، وبونا بلوس صاحب سرمدا وآل روين فضيله أرمنيه، بل إن أوشرين صاحب لامبرون بعث بجماعة من جنده، والراجح أن عملهم اقتصر على التجسس لحساب الامبراطور^(٦٦).

وتقدر جميع هذه القوات بما يقرب من ستة عشر ألف مقاتل^(٦٧) ويعلق ابن القلانسي على هذا الجمع الهائل من الصليبيين الذين برزوا أمام مودود وقواته الإسلامية أنهم قد استفادوا من حروبهم ضد المسلمين «فبعد التباين والمنافرة والخلف صاروا يداً واحدة وكلمة متفقة على الاسلام وأهله»^(٦٨) ومن هنا نرى كيف أن ابن القلانسي قد أوضح لنا أن المسلمين خرجوا

متناحرين، وكل قائد منهم اعتذر بحجة معينة وتركوا الأمر لمودود ليحمل على عاتقه هذه المهمة الصعبة، في حين أن المحنة صلبت عود الصليبيين، فاجتمعوا علينا وتكاتفوا بعد أن كانوا متباغضين متناحرين.

اتجه الصليبيون إلى منطقة تسمى تل ابن معشر، وبدءوا في تجهيز قواتهم، وتحصين مواقعهم، لكن المسلمين كانوا قد نجحوا في تثبيت خيولهم من جميع الجهات، لكي تكون في مواجهة الصليبيين، وعسكروا عند معرة النعمان، وكان موقعهم يمنع وصول الماء والمؤن إلى الصليبيين، كما سيطر المسلمون أيضاً على شاطئ نهر العاصي، ومنعوا أي جندي صليبي من الاقتراب منه وكل من حاول ذلك تعرض للقتل، وهاجم المسلمون التل الذي يعسكر عليه الصليبيون، فارتد الصليبيون، واختبأوا ثلاث ليال لم يخرجوا خلافاً للقاء المسلمين، ثم عادوا إلى أقاميه مرة أخرى، وتبعهم المسلمون الذين حملوا أعداداً كبيرة من الأسرى الصليبيين الذين كانوا يتخطفونهم، ثم عادوا إلى شيزر ومنها إلى حماة^(٦٩).

توطدت العلاقات عقب هذه الحملة بين مودود وطغتكين، فمن المؤرخين من يحاول إبعاد الحقد الداخلي والخوف من نفس طغتكين. ويمثل هؤلاء ابن القلانسي، أما ابن الأثير فله موقف آخر مخالف لموقف زملائه المؤرخين^(٧٠).

غادر مودود بلاد الشام إلى الموصل ليستعد لهجوم جديد يوجهه صوب مدينة الرها التي تعتبر المهدف الأساسي لحكام الموصل، فجهز نفسه وتوجه في عام ٥٠٦هـ/١١١٢م إلى الرها وفتزل عليها ورعى عسكره زروعها، ومكث بها ثمانية أيام^(٧١) ثم رحل عنها إلى سروج وفعل بها كذلك، وبين ابن الأثير أن مودوداً لم يأخذ حذره من الفرنج، وفجأة انقض عليهم جوسلين صاحب تل باشر، وهجم على الدواب التي كانت منتشرة في المراعي، وعندما تجهز مودود للثأر منه كان قد رحل إلى بلاده بعد أن قتل كثيراً من المسلمين واستولى على الدواب^(٧٢).

لذلك نعتبر أن حملة الرها لم تكن ذات أهمية بل إن مودوداً بعدها اكتفى مؤقتاً بمراقبة حدود الجزيرة، ومسالك الشام تحقيقاً لرغبة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي^(٧٣).

ويعلق الأستاذ Fink على حصار مودود للرھا بقوله «إذا كان مودود قد نجح في الاستيلاء على الرھا لكان قد سبق عماد الدين زنكي الذي استولى عليها سنة ١١٤٤م وكان استيلاؤه عليها نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية»^(٧٤).

وخلال هذه الفترة تعرضت مدينة صور في بلاد الشام لعدوان الملك بلدوين الصليبي ملك بيت المقدس الذي بدأ يجمع الصليبيين حول رايته بعدما رآه من الهجوم الإسلامي المتكرر على بلاد الشام، وبعد حملة مودود على شيزر، وقد جمع بلدوين ملك بيت المقدس جنوده وحشدها نحو مدينة صور، لذلك استنجد أهلها بطغتكين حاكم دمشق والتمسوا منه الحماية، فقام طغتكين بالاتصال بالافضل بن بدر الجمالي الوزير الفاطمي في مصر، وبين له «أن من يتولى أمرها ويذب عنها ويحميها، بادرت بتسليمها إليه، وخروج نوابي منها»^(٧٥).

وعندما تقاعس الفاطميون عن إرسال النجدة إلى مدينة صور، التي تعتبر رسمياً ضمن ممتلكاتهم في بلاد الشام، كما أنها من المدن التي استعصت على بلدوين الأول، لذلك قرر طغتكين تعيين وال عليها يدعى مسعود، «فرق عليهم المأوى والأموال، فطابت نفوس أهل البلدة»^(٧٦) وقد قام بلدوين بعد ذلك وفي عام ٥٠٥هـ/١١١١م بحصار لصور، لكنه كان حصاراً غير تام لعدم وجود أسطول صليبي قوي يحبس المدينة من ناحية البحر^(٧٧).

وقد هزم بلدوين أمام المقاومة الإسلامية التي برزت في صور وبعدها تسلم طغتكين المدينة رسمياً. لذلك احتدم الصراع رسمياً بين طغتكين وبلدوين الأول، مما دفع طغتكين إلى مراسلة مودود، وطلب منه القدوم لنجده «للاعتضاد به على دفع المردة الأضداد، والفوز بفضيلة الجهاد»^(٧٨).

والسبب الثاني لهذه الحملة هو الاعتداءات المتكررة التي كان يقوم بها بلدوين على مدينة دمشق. «حتى ندرت الأقوات بها وتعدرت»^(٧٩).

والحقيقة، كما هو ثابت أن مودوداً لم يكن في حاجة إلى تحريض، بل إنه كان يمثل أولاً

سلطة السلطان السلجوقي، في كل أمور الشام والجزيرة، لذلك كان عليه أن يمضي في جهاد الفرنج^(٨٠).

وثانياً، فإن استمرار قدومه إلى بلاد الشام لمحاربة الصليبيين، وإن لم تؤد إلى نتيجة ما، فهو يعتبر نقطة تحول في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية لما ترتب عليه من تطلع مودود إلى مهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها، وإلى تفكيره في القطع بينها وبين الرها، وبذا انتقل مسرح النضال إلى أرض الشام^(٨١).

ورغم ذلك، فقد تعرض مودود شخصياً في هذه الفترة الحاسمة التي كان يمر بها العالم الإسلامي لوشايات وأباطيل نقلت عنه، وكلها مصدرها الحقد والغيرة والخوف من زعامة العالم الإسلامي «فقد سُئِن عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين بشناعات من المحال، لَفَقَهَا الحسدة والاعداء»^(٨٢).

لذلك اضطر «أن يبعث ابنه وزوجته إلى السلطان محمد السلجوقي للاعتذار وإثبات صدق نيتهم وعزمهم على مواصلة الجهاد».

وقد قام مودود بإعداد جيش ضخم خرج به إلى بلاد الشام في شهر ذي القعدة، لذلك انتزع بلدوين انتزعاً شديداً لقدم هذا الجيش^(٨٣).

والواقع أن موقف الصليبيين في هذه الأونة كان يشهد تغييرات جديدة بشمال بلاد الشام، وأعلى الجزيرة، إذ مات ريتشارد النورماندي وبرتранد أمير طرابلس فتوثقت العلاقة بين بونز ابن برتراند وتانكرد، غير أن تانكرد مالبت أن مات سنة ١١١٢م فتولى الوصاية على انطاكية روجر بن ريتشارد حتى يقدم بومند الثاني وانتزع بلدوين دي بروج اقطاع تل باشر من جوسلين، فارتحل إلى بيت المقدس سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م، وحاز الجليل «طبرية» اقطاعاً له^(٨٤).

وتذكر المراجع أن أخبار تحركات مودود من الموصل إلى الشام وصلت إلى بلدوين دي بروج

كونت الرها، فبادر بإبلاغها إلى بلدوين ملك بيت المقدس، لذلك قام باستدعاء أميرى انطاكية وطرابلس.

خرج طغتكين من دمشق للقاء مودود وجيشه، وتم اللقاء عند مرج سلمية جنوبي شرق حماه، واتفق الإثنين على ملاقاته جيش بلدوين، وصحبته في هذه الحملة جيوش من حصص وحماه، ورفنيه ثم توجهوا إلى قدس ومنها إلى عبر الخبر بسهل البقاع ثم إلى وادي التيم ونزلا بانياس^(٨٥).

ويحاول ابن القلانسي أن يركز على حسن معاملة طغتكين لمودود وتكريمه وإعظامه «وماحله إلى مقدمي عسكره وخواصه من أنواع اللبوس والمأكول والمركوب»^(٨٦).

موقعة الصنبرة سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م :

انضمت إلى قوات مودود وطغتكين قوات عمبرك صاحب سنجار، والأمير أياز بن أيلغازي الأرمني، وقد اتجه الجميع صوب طبرية، وقاموا بحصارها، وعندما استعصت عليهم أخذوا يدمرون وينهبون الممتلكات الصليبية المجاورة حتى جبل الطور^(٨٧).

اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى الاقحوانة في حين قرر الصليبيون بزعماء بلدوين أن ينزلوا غربي جسر الصنبرة وهي قرية قديمة تقع على المجرى الأعلى لنهر الأردن ثم يقطعونه إلى الاقحوانة للقاء المسلمين، وقد شدد الحراسة على أمتعتهم وأسلحتهم خلف الجسر^(٨٨).

نجح المسلمون في قطع جسر الصنبرة، ووقفوا أمام الفرنج في ثلاث جولات حربية انتصروا فيها وقتل من الإفرنج «تقدير ألفي رجل من الأعيان ووجوه الأبطال والشجعان، وملكوا ماكان نُصب من خيامهم»^(٨٩). ويعدد فولشر قديس شارتر عدد القتلى بثلاثين ألف فارس، واثنى عشر ألفاً من المشاة^(٩٠). وقد تم أسر بلدوين «وفر هارباً، وحصل معسكر مودود على غنائم وفيرة»^(٩١) وقد غرقت أعداد كبيرة من جيش بلدوين في البحيرة، واختلط الدم والماء حتى أن الناس امتنعوا عن الشرب منه، وهرب من نجا من الصليبيين إلى طبرية.

عندئذ وصلت بقية الجيوش الصليبية إلى بلدوين، وقد لاموه على تسرعه في لقاء المسلمين، أما المسلمون فقد استأنفوا جهودهم فالتجّهوا ناحية طبرية وقرروا مهاجمة الصليبيين مرة أخرى فصعدوا الجبل المطل عليهم غربي طبرية، وبعد أن عاد المسلمون إلى معسكرهم، صعد الصليبيون الجبل، وتخصّصوا به، ومع ذلك استمر المسلمون في مجابتههم وقرروا في النهاية عدم الصعود إلى الصليبيين لصعوبة الجبل^(٩٢). وقاسى الصليبيون من ندرة الماء، واستمروا فوق التل لمدة ستة وعشرين يوماً، وخلال هذه الفترة وصلت قوات من قبل رضوان أمير حلب تقدر بحوالي مائة فارس، وهو أقل من العدد المتفق عليه، لذلك توترت العلاقات بينه وبين طغتكين ومودود اللذين قررا عدم إقامة الخطبة له.

ظلت العساكر الإسلامية تطارد القوات الصليبية، بعد أن أدركوا عجز ملك بيت المقدس عن الدفاع عن إمارته، فاستمروا في إغارتهم على المناطق بين عكا وبيت المقدس، فأضحى الإقليم تحت رحمتهم، فهرب سكان المدن والقرى والفلاحون ولحقوا بالقوات الإسلامية، وأصاب الفرنج من الذلة والانكسار والخوف، ماجعلهم لا يجرؤون على مغادرة الاستحكامات والحصون^(٩٣). ويعلق فولشر قديس شارتر على ذلك بقوله «إن العرب اتجهوا جماعات، والتفوا حول إخوانهم في الدين وأن الصليبيين لم يجرؤوا على مغادرة أسوار مدنها، فلم يتمكنوا من الاتصال بالملك بلدوين، كما لم يتمكنوا من حصد المحاصيل التي جادت بها الأراضي في ذلك العام^(٩٤)». ثم كان أن زاد موقف الصليبيين حرجاً في ذلك الوقت عندما قامت حامية عسقلان بهجوم على بيت المقدس ذاته، مستغلة فرصة وجود الملك بلدوين الأول والجيوش الصليبي قرب طبرية، وهكذا تقدم الجيش الفاطمي من عسقلان يدمر وينهب، ويقتني أثر الصليبيين حتى وصل إلى أسوار بيت المقدس، لكن حامية المدينة ومن بقي فيها من الفرسان ظلت متيقظة تماماً في الوقت الذي كان الجيش الفاطمي الذي خرج من عسقلان صغير العدد لا يستطيع القيام بعمل حربي ضخم ضد المدينة، مما جعل المسلمين يشعرون في العودة إلى عسقلان في الليلة نفسها التي بلغوا فيها أسوار بيت المقدس^(٩٥).

وقد تبدلت الظروف بالنسبة لبلدوين حيث وفدت عليه جموع من انطاكية وطرابلس

لمواساته في مأساته، كما شاركهم مجموعة من الحجاج الغربيين القادمين من أوروبا، وقد تجمعوا في مجموعات كبير واتجهوا إليه^(٩٦) على أن مودوداً أذن للعساكر في العودة إلى بلادهم والاستراحة على أن يتجمعوا في الربيع القادم لمواصلة الغزو، وذلك بعد أن ألح عليه عساكر العراق، وحلفاؤه، وعزم مودود على المقام بالشام والقرب من العدو^(٩٧) لذلك عاد طغتكين ومودود إلى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ، وقد بالغ طغتكين في إكرامه واحترامه وخدمته بنفسه^(٩٨).

ويعقد الأستاذ «فك» Fink مقارنة بين حملة سنة ١١١٣م/٥٠٧هـ، التي قام بها مودود وبين موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م التي قام بها صلاح الدين الأيوبي، فين أن هاتين المعركتين متشابهتان في أكثر من شيء، أولها أن الوحدة الإسلامية في كلتاها كانت سبباً في قهر المسيحيين، وفي كلتاها بدأ المسلمون بمهاجمة طبرية كما أدى هذا الهجوم إلى تجنيد عام في كل العالم الإسلامي وانتهى بانتصار المسلمين على الفرنج وألقوا بهم على تل قليل الماء^(٩٩).

أما عن وجه الاختلاف بين الاثنتين، فإن جيش بلدوين انهزم في حملة مودود وهرب بلدوين أما جيش جاي لوزجنان في حطين فانهزم وتم أسر الملك نفسه.

ثانياً: أن الملك بلدوين في الأولى كان يعاني وهو على التل المرتفع من نقص المياه وقتلتها في حين أن جاي لوزجنان في الثانية لم يجد الماء نهائياً.

ثالثاً: أن بلدوين كان يحظى باحترام رفاقه رغم الأخطاء التي وقع فيها، في حين أن جاي صدر ضده قرار من المجلس الصليبي العام يقضي بعزله، وأخيراً فإن بلدوين وصلته إمدادات ومساعدات خارجية، في حين أن جاي لوزجنان تم أسره مباشرة وقبل وصول الإمدادات إليه^(١٠٠) والواقع أن مودود بعد عودته إلى دمشق شعر بأنه قد قام بتأسيس وبناء الأسس واللبات لحركة الجهاد الإسلامي، فقد نجح في أن يكون تحالفاً بين الأتراك في العراق، وبين إخوانهم في دمشق التي تعتبر أقوى قطر إسلامي في بلاد الشام^(١٠١).

تعرض مودود المجاهد المسلم بعد هذا الجهد الجهادي لطعنات غادرة قام بها أحد رجال الشيعة الباطنية فأناء توجهه برفقة طغتكين من نخيمه بمرج باب الحديد إلى الجامع، وبعد الصلاة خرج هذا الباطني وطمعنه طعنات قاتلة تعرض بعدها الباطني لضربات الحراس المحيطين بهم فمزقوه إرباً ثم حرقوه فلم يعرفه أحد في الوقت الذي أصبح مودود يترنح من الألم^(١٠٣).

ويذكر ابن الأثير أن مودوداً كان صائماً، فطلب منه طغتكين أن يفطر فرفض وقال «لا لقيت الله إلا صائماً ومات يومه»^(١٠٤) ولعل مقتل مودود أثار وجهات نظر متعددة بين المؤرخين والغريب أن معظم الآراء اتهمت طغتكين بتدبير قتله ومن المؤرخين المسلمين يُبرِّز ابن الأثير، الذي يتهم طغتكين في تدبير مقتل مودود «لأنه خافه فوضع عليه من قتله»^(١٠٥).

ولعل ما قام به طغتكين من قطع ربة القاتل وإحراق جثته ما يدلل به على رغبته في طمس معالم الجريمة والتخلص ممن قام بها، حتى أنه تحالف فيها بعد مع الصليبيين.

أما المؤرخون المسلمون الذين أبعدها التهمة عن طغتكين، فعلى رأسهم ابن القلانسي وهو صديق طغتكين ومعاصره فذكر أنه «قلق لوفاته، وتزايد حزنه، وأسفه وانزعاجه»^(١٠٦) وشاركه في ذلك سبط بن الجوزي الذي ذكر أن طغتكين قد صدم على قتل مودود وحزن حزناً شديداً. وشاركه في هذا الرأي أبو المحاسن ابن تغري بردي^(١٠٧).

أما المؤرخون الغربيون أمثال البرت آخن ومتى الرهاوي، فقد اتهموا طغتكين بقتل مودود، أما فوشر قديس شارتر فقد أبعد عنه التهمة^(١٠٨) والحقيقة أننا لا نستطيع أن نتهم أو نبري طغتكين، فالحقيقة يعلمها الله وحده، ولكن هناك حدثاً سياسياً وهو أن طغتكين استقل بدمشق عن السلطنة السلجوقية حتى وفاته سنة ١١٢٨م وكما ذكرنا فإن اتصاله بالصليبيين — فيها بعد — أدى إلى ترسيخ الشكوك فيه.

ويعد أن استعرضنا هذا الدور الإيجابي لمودود حاكم الموصل الذي قاد حركة الجهاد الإسلامي، وأبرز أهمية الموصل بالنسبة لإمارات الشمال وأنه أول من بدأ توحيد الجبهة الإسلامية في الحروب التي دارت بين إمارات العراق والشام وبين الصليبيين، فقد أثبت أهمية هذه الوحدة في مجابهة الصليبيين، والتي بدونها لم ولن تقوم للمسلمين قائمة. ويعتبر مودود هو الذي أضاع الطريق الذي لم يغلُق، فقد أشرت أن عماد الدين زنكى، وهو الشاب الذي تربى في هذه الإمارة وخاض مع مودود معاركه في بلاد الشام، لمع فيها بعد، وحل نفس المشعل الذي أضاع به مودود طريق حركة الجهاد. وقد توطدت العلاقات بين مودود وزنكى وأحبه حتى أنه أطلق اسمه على ابنه قطب الدين مودود الذي تولى الموصل سنة ١١٤٩/١١٧٠م.

وقد نجح عماد الدين زنكى كما نعلم في توحيد الموصل، وحلب وهي الخطوة التي كان يعمل من أجلها مودود، كما نجح في استرداد الرها سنة ١١٤٤م وهو الأمل الذي بذل من أجله النفس والمال وكاد يحققه، واكمل هذه المسيرة نورالدين محمود بن زنكى الذي ضم دمشق إلى الوحدة الإسلامية، حتى كان صلاح الدين الأيوبي الذي تحققت على يديه الوحدة الإسلامية الكاملة بدخول مصر فيها حتى سقوط بيت المقدس، وعودتها إلى أحضان الإسلام.

أما عن آراء المؤرخين الغربيين فمنهم فولشر قديس شارتر الذي يصفه بأنه «كان قوياً وعظيماً حقاً وقائداً بارزاً من القواد الأتراك يتمتع بذكاء حاد ومكر كبير»^(١١٨)، أما ألبرت آخن فيذكر «أن اسم مودود وشهرته قد تعدت وفاقَت جميع القادة الأتراك لأنه حارب الصليبيين أكثر من غيرهم»^(١١٩) حتى أن متى الرهاوى الذي هاجم مودود ببلاده والذي كان يعرفه أكثر من غيره حتى أنه لقبه بلقب «مصاص الدماء» قد وصفه بأنه كان محارباً مغواراً^(١٢٠).

أما آراء المؤرخين المسلمين في مودود فيذكر عنه ابن الأثير، أنه كان خيراً عادلاً كثير الخير^(١٢١) أما ابن القلانسي فيقول «انه لزم التدين والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشاعت بالجميل أخباره وبحسن الارتضاء آثاره»^(١٢٢).

ويذكر د/ العريبي «أن الفرنج فرحوا لما حدث من مصرع مودود لاختفاء عدو اعتبروه من أشد الخصوم كفاية وقدرة وصلابة»^(١).

أما د/ حبشي فيذكر أن مقدم مودود إلى حلب يعتبر نقطة انتقال هامة في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية، إذ يبدو أنه أدى إلى تطلع مودود لمهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها وإلى تفكيره بالقطع بينها وبين الرها، ومن ثم أخذ مودود في التقرب إلى بعض الأمراء الشاميين^(٢).

ويذكر د/ حسين مؤنس «أن أعظم نتائج جهاد مودود أنه أعاد إلى المسلمين الثقة بأنفسهم، فانقلبوا من الدفاع إلى الهجوم، واستخفوا بالصليبيين وأخذ المسلمون في الاتحاد، فأصبح الأمراء منهم أميل إلى الاتحاد ومخالفة بعضهم بعضاً، وتبينوا فضائل الاتحاد، ولم تعد جماعة منهم لتخرج إلى القتال إلا متحدة مع جماعة أخرى فكتب الله لهم الانتصار.

إن ميلاد حركة التوحيد في الموصل جعلت امانة بيت المقدس تهم بالدفاع عن نفسها، فلم يعد بلدوين يهاجم مابقي للفاطمين من سواحل الشام، فاستفاد الفاطميون، وهددوا بيت المقدس سنة ١١١٥م، فبذل بلدوين جهداً في دفع هذه الغارة، وأن مودوداً من غير شك هو من الطبقة الأولى مثل نور الدين وصلاح الدين يستحق أن يكون من الظاهرين من أبطال الإسلام»^(٣).

وإذا كانت هذه هي الأحكام التي أصدرها المؤرخون على مودود، لذلك فلا أقل أن يحظى باهتمامنا واهتمام من بعدنا.

جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، ، ،



الهوامش :

(١) انظر د/ عفاف صبر - دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ومن أهم الموضوعات «دور الفقهاء وعلماء المسلمين في جهاد الصليبيين» والتركيز وجهاد الصليبيين».

(٢) عن الموضوع انظر

«Fink» Mawdud I of Mosul, Precursor of Saladin» PP. 18 - 28.

(٣) Stevenson «Crusaders in the east» PP. 64 - 84 - 87.

- (٤) Gibb. Damascus Chronicle of the crusades P.99 N.40
- (٥) Fink Mawdud of Mosul. Precursor of Saladin P.18 «The Muslim World» XIII - 1953
- (٦) الأتابكية، يحكمها الأتابك وهو الأمير الوالد وهي من مقطعين هما «بك» وهو الأمير و «تاء أي الوالد»، وهذا اللقب كان يعطى لمن يفوضه السلطان بترية أحد أولاده الصغار، وكان الأتابك يدير باسم الوالد المدينة التي كانت العادة أن يوليها السلطان لابنه ثم توسعوا في معنى هذا اللقب وفتحوا لأول المتوطنين للأمير الجيوش، ثم صار السلطان يعطيه للعطاء كلقب شرف.
- انظر - ابن العربي جرجريوس الملقب «تاريخ مختصر الدول» ص ١٩٨ حاشية ١.
- (٧) Cahen «The Turkish invasion» P.169
- (٨) Fink «op-cit» P.19
- (٩) المعروف أن بوهمند قد وقع في كمين «دبره» له الأمير الدانشمند غازی كمشكين سنة ١١٠٠م فتم أسرهم وضيح رجاله - انظر Matthew of Edessa «R.H.I. ARM. Vol.1 P.52.
- (١٠) Grousset «Histoire des les Croisades» T.I. P.402.
- (١١) رنسان «تاريخ الحروب الصليبية» ج ٢ ص ١٧٣ ترجمة د/الياز العريفي.
- (١٢) ابن الأثير «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» ص ١٦.
- (١٣) ابن الأثير «الكامل في التاريخ» ج ٨ ص ٢١١ حوادث سنة ٤٩٥هـ.
- (١٤) رنسان «تاريخ الحروب الصليبية» ج ٢ ص ١٧٧.
- (١٥) Fink «The Foundation of the Latin States» P.393.
- (١٦) أحد زعماء العرب يطلق عليه أمير العرب كان حاكماً على الحلة وواسط بالعراق انظر عاشور «الحركة الصليبية» ج ١.
- (١٧) ابن القلانسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٦٠.
- (١٨) احتاج جاولي هذه القدية لمواجهة الأمير مودود بن التوتكين الذي وجه إليه السلطان محمد السلجوقي لانتزاع الموصل منه.
- انظر رنسان «المرجع السابق» ج ٢ ص ١٨١.
- (١٩) ابن الأثير «الكامل» ج ٨ حوادث سنة ٥٠٠هـ.
- (٢٠) ابن الأثير - نفسه ج ٨ حوادث سنة ٥٠٢هـ.
- (٢١) ابن القلانسي «الذيل» ص ١٦٠.
- (٢٢) ابن القلانسي - نفسه.
- (٢٣) ويذكر ابن الأثير في «التاريخ الباهر» أن عماد الدين زنكي كان يخدم مع جاولي سقاية. فلما سمع بما حدث في الموصل تركه مع غيره من الأمراء. انظر ص ١٦.
- عن الموضوع نفسه Fink «Mawdud of Mosul. Precursor of Saladin PP.18 - 28.
- (٢٤) Fink «The Foundation of the Latin States» P.392.
- (٢٥) لقد تم أسر بوهمند حاكم انطاكية على يد غازی كمشكين الدانشمند سنة ١١٠٠م أثناء توجهه لنجدة ملطية من سيطرة الأتراك.
- انظر عاشور «الحركة» ج ١ ص ٣٧٧.
- (٢٦) Fink «The Foundation of the Latin States» P. 393.
- (٢٧) Grousset «op-cit» P. 401.

- (٢٨) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٤ هـ .
- (٢٩) Fink «The Foundation of the Latin States. P. 393.
- (٣٠) Ibid.
- (٣١) Michael Le, Syrian «op-cit» T. PP. 195-196.
- (٣٢) طبقاً لما أورده عن الرهاوي «فإن بلدوين كان يرفض أن يستلم حكم الرها كأقطاع ممنوح له من قبل تانكرد حتى لا يصبح تابعاً له، ويذكر أن أنانية تانكرد قد أعمت عن حقيقة هامة وهي أنه إذا تحالف هو وبلدوين دي بورج مع جاولي المنشق عن السلطنة السلجوقية، فيستمكنوا جميعهم من توجيه ضربة قاصمة للسلطنة السلجوقية» Matthew of Edessa «op-cit» PP.85, 86.
- (٣٣) Fink «op-cit» P. 394.
- (٣٤) Ibid.
- (٣٥) ونسبان «المراجع السابق» ج ٢ ص ١٥٨ .
- (٣٦) ابن الفلاسي «ذيل تراخي دمشق» ص ١٦٧ .
- (٣٧) ابن العمري «تاريخ مختصر الدول» ص ١٩٩ .
- (٣٨) ابن الفلاسي «نفسه» ص ١٦٩ .
- (٣٩) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٥ هـ .
- (٤٠) Fink «Mawdud I of Mosul» P.20
- (٤١) لقد تأخر وصول بلدوين الأول لأن انتقاله من بيت المقدس إلى الرها استغرق شهر وانتظر كذلك حتى تمكن من حشد قوى الصليبيين وشاركهم أيضاً كوغ باسيل الأرمني حاكم كيسون . Fink «Ibid» P.20.
- (٤٢) ابن الفلاسي «نفسه» .
- (٤٣) ونسبان «المراجع السابق» ص ١٨٩ .
- وقد حدثت نفس الحطة في الماضي عندما قام جاولي سقاوة بتدبيرها ليوهند الأنطاكي وبلدوين دي بورج حاكم الرها وفي نفس المكان سنة ١١٠٤ م، وكما حدث في الماضي السحيق عندما دبر البازيليون ذلك للفائدة الروماني كراسوس سنة ٥٣ ق.م
- انظر Fink «Mawdud» P.20.
- (٤٤) ابن العديم «ريضة الخلب» ج ٢ ص ١٥٤ .
- (٤٥) ابن الفلاسي «نفسه» ص ١٦٩ .
- (٤٦) Fink «Mawdud» P. 20.
- (٤٧) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٤ هـ .
- (٤٨) نفسه .
- (٤٩) ابن الفلاسي «نفسه» ص ١٧٣ .
- (٥٠) نفسه .
- (٥١) نفسه .
- (٥٢) ابن الأثير «نفسه» ج ٨ ص ٢٦٣ حوادث سنة ٥٠٥ هـ .
- (٥٣) نفسه .
- (٥٤) ابن الفلاسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٧٤ يذكر ابن الأثير في «التاريخ الباهر» - أن عماد الدين زنكي قد وافق موثوداً في

حلة الرها، ويذكر أن مودود لم يتمكن من فتحها حيث كان فتحها عقبة ومكرمة وفضيلة قد ادعها الله سبحانه وتعالى للشهد زكي.

فانضوت سبل الأمال حايدة ❦ عن الملوك إلى أعلامهم حسبا
أبرهم فضلاً أضرهمم بدلاً ❦ أضرهم أبداً فعلاً ومنسباً
أشم الشوس معند وباراً دقه ❦ عل الهالك مرغى دونها الحجباً
ممنوع الخير معمور الفناء به ❦ مظفر العزم والآراء مستحباً
من معشر طائلاً شبوا بكل وعي ❦ ناراً يظل أعاديهم لها حطباً

- (٥٥) ابن الفلاس نفسه ص ١٧٥. Matthew of Edessa = R.H.C. = A.R.M. Vol I P.97.
- (٥٦) يذكر Fink أن أهم نتيجة هذه الحملة هي أنها أضعفت إمارة الرها الصليبية انظر «Mawdud» P.21 ويذكر المؤرخون أن رضوان خاف من وصول مودود حتى لا يفقد استقلاله بإمارته المحلية، لذلك تحالف مع الباطنية الشيعة، ولم يعاً بالوحدة الإسلامية وشعور المسلمين السنة الذين يمثلهم مودود. Fink «Ibid» P.22.
- (٥٧) ابن الأثير ج ٨ ص ٢٦٣ حوادث ٥٠٥ هـ.
- (٥٨) ابن الفلاس ص ١٧٦.
- (٥٩) ابن الفلاس نفسه ص ١٧٠.
- (٦٠) Fink «Mawdud» P.21.
- (٦١) ابن الفلاس نفسه ص ١٧٥.
- (٦٢) نفسه ص ١٧٧.
- (٦٣) ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٥٠٥ هـ.
- (٦٤) ابن العديم وزبدة الحلب ج ٢ ص ١٦٠.
- (٦٥) ابن الفلاس نفسه ص ١٧٧.
- (٦٦) Fink «Mawdud» P.22.
- (٦٧) ابن العديم وزبدة الحلب ج ٢ ص ١٦١.
- (٦٨) ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٥٠٥ هـ.
- (٦٩) ابن الفلاس نفسه.
- (٧٠) ابن الفلاس نفسه.
- (٧١) ابن الأثير حوادث سنة ٥٠٥ هـ.
- (٧٢) ابن العديم وزبدة الحلب ج ٢ ص ١٦٠.
- (٧٣) ريسان والرجع السابق ج ٢ ص ١٩٨. Matthew of Edessa P.275.
- (٧٤) Michael le Syrien «op-cit» Vol III P.205.
- (٧٥) Albert of Aix R.H.C. occ IV. P.683.
- (٧٦) ابن الفلاس وقيل تاريخ دمشق ص ١٧٧.
- (٧٧) نفسه ص ١٧٧، ص ١٧٨.
- (٧٨) ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٥٠٥ هـ.
- (٧٩) ابن العديم وزبدة الحلب ج ٢ ص ١٦١.

(٧٠) يهاجم ابن الأثير طغتكين بقوله وأنه عندما اجتمع بالأمير مودود اطلع من الأمراء على نيات قاسدة في حقه، فضاف أن تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادة الفرنج سرًا وبين كذلك أن هذه الحملة قد باءت بالفشل في حين أن ابن الفلاس يؤكد على العلاقة الوثيقة بين الفاتكين ويصف المؤرخ الفرنسي جروسه طغتكين بأنه الخليف غير الوفي لمودود. Grousset =op-cit= T.I. P.266.

(٧١) ابن الأثير والكمال، ج ٨ حوادث سنة ٥٠٦ هـ.

(٧٢) ابن العبري وتاريخ مختصر الدولة ص ١٩٩.

(٧٣) عاشور والحركة، ج ١ ص ٣١٠.

(٧٤) Fink =Mawdud= P.23

(٧٥) ابن الفلاس، دليل تاريخ دمشق، ص ١٨٢.

(٧٦) ابن الأثير نفسه، حوادث سنة ٥٠٤ هـ.

(٧٧) عاشور والحركة الصليبية، ج ١ ص ٣٠٤.

(٧٨) ابن الفلاس، نفسه، ص ١٨٤.

(٧٩) Matthew of Edessa R.II.C. ARM. T.I P.106.

(٨٠) Grousset =op-cit= P.484.

(٨١) ابن العديم، زبدة الخلب، ج ٢ ص ١٦٠.

حيثي، نور الدين والصليبيون، ص ١٧.

(٨٢) ابن الفلاس، نفسه، ص ١٨٤.

من التهم التي لفتت على مودود أنه سبخر عن طاعة السلطان السلجوقي ويعمل لحسابه الخاص، وأنه تحالف مع الأتابك طغتكين وانبأ أصبحا بدأ واحدة وأراضها متوافقة، واهواهما متطابقة.

(٨٣) ابن الأثير والكمال، حوادث سنة ٥٠٧ هـ.

(٨٤) العربي، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ص ٤٦٢. Grousset =op-cit= T.I. P.487.

(٨٥) ابن الفلاس، ص ١٨٤. Fink =Mawdud= P.23.

(٨٦) نفسه.

(٨٧) عاشور والحركة الصليبية، ص ٣١١.

(٨٨) عاشور والحركة الصليبية، ص ٣١١.

الأقحوانة شبه جزيرة بمصتها نهر الأردن مع نهر اليرموك جنوب بحيرة طبرية وعلق الأستاذ Fink على الأقحوانة التي اختارها مودود، بأنها هي نفس المكان الذي اختاره بعده صلاح الدين الأيوبي. وكسبت شهرتها بعد أن تمكن عن طردها من دخول مدينة بيت المقدس في حملته المفكرة (حسين) سنة ١١٨٧ م. Fink =Mawdud= P.23.

(٨٩) ابن الفلاس، نفسه، ص ١٨٥.

(٩٠) ابن العديم، زبدة الخلب، ج ٢ ص ١٦١.

(٩١) Fulcher of Charter. =op-cit= P.568-569.

(٩٢) Grousset =op-cit= P.484-494.

(٩٣) ابن الفلاس، نفسه، ص ١٨٦. Albert of Aix =R.II.C.= occ. IV P.696.

(٩٤) العربي، الشرق الأوسط، ص ٤٦٣.

(٩٥) Fulcher of Charter =op-cit= PP. 572-574.

- (٩٥) عاشور والحركة الصليبية، ج ١ ص ٣١٣.
- (٩٦) Fink «Mawdud» P.24.
- (٩٧) ابن الفلاني «نفسه» ص ١٨٦. Fulcher of charter «op-cit» P.575.
- (٩٨) ابن الفلاني «نفسه» ص ١٨٧.
- (٩٩) Fink «Mawdud» P.25.
- (١٠٠) Fink «Mawdud» P.25.
- (١٠١) Ibid.
- (١٠٢) ابن الفلاني «نفسه» ص ١٨٧.
- (١٠٣) ابن الأثير «نفسه» حوادث ٥٠٧هـ.
- (١٠٤) ابن الأثير «نفسه».
- (١٠٥) ابن الفلاني «نفسه» ص ١٨٧.
- (١٠٦) سبط بن الجوزي «مرآة الزمان» ج ١ ص ٤٢.
- (١٠٧) أبو المحاسن «النجوم الزاهرة» ج ٥ ص ٢٠٧.
- (١٠٨) Fink «Mawdud» P.26.
- (١٠٩) Fulcher of Charter «op-cit» P.578.
- (١١٠) Albert of Aix, R.H.C. occ. 10, P.700.
- (١١١) Matthew of Edessa R.H.C. ARM. I PP.91-100-104.
- (١١٢) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٧هـ.
- (١١٣) «التاريخ الباهر» ص ١٨.
- (١١٤) ابن الفلاني «نفسه» ص ١٨٨.
- (١١٥) العربي «الشرق الأوسط» ص ٤٦٤.
- (١١٦) حبشي «نور الدين والصليبيون» ص ١٤٠.
- (١١٧) حسين مؤنس «نور الدين» ص ١٣١-١٣٢.

قائمة المصادر والمراجع العربية

- (١) ابن الأثير الجزري «أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب بزم الدين ت. ١٢٣٢هـ/١٢٣٠م.
- الكامل في التاريخ — بيروت سنة ١٩٨٠م.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية — تحقيق عبد القادر أحمد طليبات. القاهرة سنة ١٩٦٣م.
- (٢) ابن الجوزي «أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي» ت. ٥٩٧هـ/١٢٠١م — المتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٨-٩ ط. حيدر اباد ١٣٥٩هـ.
- (٣) ابن العربي «جرجيربوس اللطفي» أبو الفرج بن هرون. ت. ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.
- تاريخ مختصر الدول — بيروت سنة ١٩٩٠م.

- (٤) ابن العديم وكمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ت. ١٢٦٠هـ/١٢٦٢م.
- ازبدة الخلب في تاريخ حلب، ج ١ - تحقيق سامي الدعنان.
دمشق ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- (٥) ابن الفلاس وأبو يعلى حمزة بن الفلاس، ت. ٥٥٥هـ/١١٦٠م.
- قبيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨م.
- (٦) أبو الحسن وجمال الدين يوسف بن تغرى بردى. ت. ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة سنة ١٩٣٠م.
- (٧) حبشى وحسن.
- نور الدين والصليبيون - القاهرة سنة ١٩٤٨م.
- (٨) رسيان وستيف.
- تاريخ الحروب الصليبية - ج ٢ بيروت سنة ١٩٦٧م.
- (٩) صبرة وعفاف، تحت الطبع.
- دراسات في تاريخ الحروب الصليبية - القاهرة سنة ١٩٨٦م.
- (١٠) عاشور وسعيد عبد الفتاح.
- الحركة الصليبية. ج ١ - القاهرة سنة ١٩٧٨م.
- (١١) مؤنس حسين.
نور الدين - القاهرة سنة ١٩٥٩م.

- 1) Albert. of Aix. "Liber Christianae expeditione ereptione, emundatione, restitutione, sanctae hierosoly mitanae, ecclesiae."
- 2) Cahen C. The Turkish Invasion. in Setton "A History of the Crusades." Vol. 1. Wisconsin, 1969.
- 3) Fink. H.S. The Foundation of the Latin States. in Setton. 1969. Mawduf I of Mosul, precursor of Saladin. **The Muslim World** XLIII, 1953.
- 4) Fulcher of Charter. Historia, Hierosoly mitanae ecclesiae. Edited by Heinrich Hagenmeyer Heidelberg. 1913.
- 5) Gibb. A.R. The Damascus Chronicle of the Crusades. London, 1932.
- 6) Grousset. R. Histoire, des Croisades. 3 Vols. Paris, 1936.
- 7) Matthew of Edessa. Extraits de la chronique de Matthew d'Edesse. R.H.C. Arm. 1.
- 8) Michel les Syrien. Chronique. Edited and Translated by J.B. Chabat. 4 Vols. Paris, 1899-1910.
- 9) Stevenson W.B. Crusaders in the east. Cambridge, 1907.

